

قصص وعبر من تاريخ المغرب | | 60 | | أمير عادل وأمير شاعر | | د. البشير عصام المراكشي

البشير عصام المراكشي

في قصص التاريخ ابهى العبر قد خاب من لم يتعظ بالخبر فيها دروس نافعة بها يصبح من غاب كما لو حضر في قصص التاريخ ابهى

العبر قد خاب من لم يتعظ بالخبر دروس نافعة بها يصبح من غاب - [00:00:00](#)

فلو حضر كم عالم قد بقيت بيننا اقواله خالدة كالدرر كم قائد في فعله قدوة ترفع همة الذي قد فتر كم عالم قد بقيت بيننا اقواله

خالدة كالدرر. كم قائد في فعله قدوة ترفع همة - [00:00:30](#)

قد فتر كم قصة تفعم قلب الفتى. يملأ منها سمعه والبصر لك مني قصصا ازهرت فيها العظات يا اخي والعبر. في قصص التاريخ ابهى

العبر قد خاب من لم يتعظ بالخبر دروس نافعة بها يصبح من غاب - [00:01:00](#)

ما لو حضر بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى اله وصحبه والتابعين ومن

تبعهم باحسان الى يوم الدين قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا - [00:01:30](#)

فردك الدهر منهيا ومأمورا بهذا البيت يخاطب المعتمد ابن عباد نفسه فيلخص سيرته الذاتية ايام ملكه وجبروته بالاندلس. وايام ذله

وهوانه باغمات. بضاحية مراكش وذلك في قصيدته الرائية المشهورة التي اولها - [00:01:54](#)

فيما مضى كنت بالاعيان مسرورا فسائك العيد في اغماة مأسورا وقد كنا صغارا نتغنى بها فنحزن لاحزان المعتمد ونألم لالامه التي بثها

في كل لفظ من الفاظه ونستحضر امامنا صور بناته الاميرات اللواتي تبدل بهن الحال - [00:02:18](#)

وصرنا يغزلنا للناس بالاجرة لم يكن يخطر ببالنا الا هذا الجانب الاوحد من الصورة التاريخية المركبة فكنا نختزل حياة المعتمد في

قصة ملك اديب شاعر غدر به ملك همجي ظالم فساقه من - [00:02:44](#)

الرفاهية والمجد الى عيش الفقر والهوان فهل كان الامر كذلك حقا اجتمع في المعتمد ابن عباد في كفتي الخير والشر متناقضات

عجيبة ترفع الرجل في بعض اشراقاته الى اعلى مدارج العظمة - [00:03:05](#)

وتنحط به في بعض مواقفه الى اخس دركات البشرية المغرقة في اتصالها الارضي والمنبتة عن وحي السماء اما في كفة الخير فقد

كان ملكا شجاعا وفارسا مغوارا الفتة ساحات الجهاد - [00:03:26](#)

وقد اظهر في معركة الزلاقة من البلاء الحسن ومن صدق العزيمة في الحرب ما حفظه له التاريخ وله في كفة الخير ايضا موقف

ناصح لا يتأتى مثله الا لاهل التدبين الصادق - [00:03:46](#)

وذلك ان ملوك الطوائف حين تهددهم طاغية الافرنج واوشك على قصد بلادهم لاستئصال شأفتهم ارسل المعتمد الى امير المرابطين

في العدو المغربية يوسف ابن تاشفين يستنصره ويتقوى به وحين عزله بعض المفتونين وخوفوه ضياع ملكه وذهاب سلطانه. قال

كلمته السائرة - [00:04:04](#)

التي بقيت تتحدى النسيان وتطاول الاهمال قال تراعي الجمال خير من رعي الخنازير ثم هو فوق ذلك شاعر مجيد اندلسي الطبع

سريع البديهة ظريف محبب اما في كفة الشر فقد اجتمع على المعتمد مواقف مظلمة - [00:04:33](#)

تنزل بالرجل الى حضيض الاستبداد والترف فمن تلك المواقف ما وقع له مع امير قرطبح ابن جهور الذي احتاج الى الاستعانة

بالمعتمد ابن عباد ليدفع عن قرطبة من اغار عليها - [00:05:00](#)

فجاءت جيوش المعتمد ورابطت بظاهر قرطبة ثم لما انصرف العدو عن قرطبة اذا بعساكر المعتمد تغدر بابن جهور. بعد ان كانت حليفة له فاحتلوا بلاده وقبضوا عليه وعلى اخوته واهل بيته اذلاء منتهك الحرمة - [00:05:17](#)

وقد حفظ التاريخ ان ابن جهور لما وصل الى وسط قنطرة قرطبة خارجا منها رفع يديه الى السماء وقال اللهم كما اجبت الدعاء علينا فاجبوا لنا فمضى الزمان ودارت على المعتمد واهله الدوائر - [00:05:40](#)

واذا به يلقي من الذل في سجن ابن تشافين نظير الذي لقيه ابن جهور في سجنه ومن المواقف ايضا ما حدث له مع وزيره ابي بكر محمد بن عمار الذي كان صفيه وخليله. ثم وقع منه ما وقع - [00:06:01](#)

فسجنه ولم يرق الاستعطافه ثم قتله صبورا فيما ينقله المؤرخون وما اشبه هذا باساليب عتات المستبدين من الملوك والسلاطين وما ابعده عن صورة الاديب ينضح شعره بالظرف ويكاد يسيل من الرقة - [00:06:21](#)

ومن مواقف الطرف الشديد ما وقع له مع الرميكية وهي جارية شغف بها المعتمد فيروى انها رأت ذات يوم باشبيلية نساء البادية يبعن اللبن في القرب وهن رافعات عن سوقهن في الطين - [00:06:45](#)

فقال له اشتهي ان افعل انا وجواري مثل هؤلاء النساء فامر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد وصير جميع ذلك طينا في القصر وجعل لها قريبا وحبالا من ابليس وخرجت هي وجواريتها تخوض في ذلك الطين - [00:07:04](#)

فيقال انه لما خلع وكانت تتكلم معه مرة فجرى بينهما ما يجري بين الزوجين فقامت له والله ما رأيت منك خيرا قط فقال لها ولا يوم الطين تذكيرا لها بهذا اليوم الذي اباد فيه من الاموال ما لا يعلمه الا الله تعالى فاستحييت وسكتت - [00:07:28](#)

ومن اخطر ما وقع من المعتمد انه لم يتردد في الاستغاثة بالفنش طاغية الفرنجة ليرد حصار ابن تشافين عن مدينته لكن ذلك لم ينفعه واقتحم المرابطون اشبيلية عليه عنوتان وقبض على المعتمد واخذ اسيرا الى مراکش - [00:07:52](#)

وقد استفتى امير المسلمين يوسف بن تاشفين الفقهاء في هذه الواقعة وكان وقافا عند حدود الله تعالى ملتزما باقوال الفقهاء اه فافتى اكثرهم بانها ردة. لكن قاضيه وبعض الفقهاء لم يرها ردة ولم يبيع دمه. فلم يقتله ابن تاشفين - [00:08:16](#)

وفي قصة المعتمد عبر كثيرة اولها ان مرتع الظلم وخيم وان عاقبته اشد مرارة من الصاب والعلقم وبينما الظالم في غفلته مسرورا بما اقترفت يده مطمئنا الى دنياه المليئة بالمسرات والافراح - [00:08:38](#)

اذا بعاديات الايام تنتزع من اوهامه وتفسد عليه زينة ايامه واذا بالسرور ينقلب حزنا وكآبة وبالسعادة تنقلب شقاء وبالرفعة تنقلب ضاعة وذلا ويصبح ضياء الشمس هندسا رهيبا ومن ثم فان الذي لم ير عاقبة ظلمه في الدنيا. فانه يراها في الآخرة. اعظم وانكى - [00:09:03](#)

فيتمنى من هول ما يرى هناك ان لو عجلت له العقوبة في هذه الدنيا الفانية يفتنى نعيمها كما يفتنى عذابها وكما رأينا في التاريخ من انقلاب احوال الظلمة المستبدين من عزة وجبروت الى ذلة وهوان. ولكن الذي يعتبر قليل - [00:09:35](#)

وثانيا ان التاريخ حافظ امين يحفظ مواقف الخير وتصرفات الشر لكنه يكتب لاهل المواقف الطيبة الناضحة بالشجاعة والنبيل الخلود في ذاكرة الزمان ويرمي اهل المواقف السيئة في مزابل النسيان وفي فيافي الاهمال - [00:09:56](#)

وليس يبقى ذكر احد من هؤلاء الا ان اقترن بذكر اهل الخير. كما بقي مثلا ذكر ابن ابي دؤاد لاجل اقتترانه بمحنة احمد بن حنبل رحمه الله تعالى او اقتضت حكمة الله - [00:10:18](#)

ان يبقى ليكون عبرة للمعتبرين. وعظة للمتدبرين ولذلك حفظ الناس قديما وحديثا قول المعتمد رعي الجمال خير من رعي الخنازير. وحفظوا معها ان المعتمد له شهامته ان يذل لاعداء الدين وفضل التضحية بالعرش على التضحية بالدين - [00:10:34](#)

وجهل اكثر الناس الواقعة الاخرى او تجاهلوا. وثالثا قد يجتمع في الشخص الواحد خير وشر وتتجاوز في اقواله وافعاله الحسنات والسيئات فالسعيد من غلب خيره شره وغمر حقه باطله والمتطلب في بني البشر - [00:10:57](#)

حاشى من عصمه الله من الانبياء والمرسلين خيرا محضا لم تداخله شبهة شر. كالذي يتطلب جذوة النار المتقدة في حوض الماء ورابعا ان الحكم على الاشخاص قديما او محدثين ينبغي ان يكون معتمدا - [00:11:20](#)

على ضوابط شرعية واضحة. ومن اعظم الخطل ان تترك هذه الضوابط لغير حملة الشريعة. من الادباء او الاعلاميين او كل من بضاعته التقميش في كتب التواريخ ان للادباء ومثلهم الاعلاميون في عصرنا طرائق عجيبة في تزيين القبيح وتشويه الحسن - [00:11:39](#)

وهذه القدرة تحسب لهم في مقامات الادب. ومراتب الفن ولكنها لا يمكن ان تغير الحقائق الثابتة. خذ مثلا ما نقله جاحضوا عن ما لك بن دينار انه قال ربما سمعت الحجاج يخطب - [00:12:04](#)

يذكر ما صنع به اهل العراق وما صنع بهم فيقع في نفسي انهم يظلمونه وانه صادق لبيانه وحسن تخلصه ويحضرني ايضا هجاء المتنبي لكافور الاخشيدي في تلك الدالية السائرة عيد باية حال - [00:12:20](#)

والتياعيد التي ما انشدها طالب ادب الا ظهر له المهجوم في اقبح صورة حسا ومعنا. مع ان التاريخ يشهد بكافور بحسنات ومقامات عالية في العدل وسياسة الدولة. وهذه فتوح سيف الدولة خلدها المتنبي بشعره. مع انها - [00:12:40](#)

اذا قيست ببعض المعارك الكبرى التي انتصف فيها المسلمون من اهل الشرك لم تكن شيئا مذكورا. ولكنه سحر بيان لقد كان المعتمد كما ذكرنا اميرا شاعرا له حسنات وله مواقف حالكة - [00:13:00](#)

وكان يوسف ابن تاشفين اماما من ائمة العدل مهيبا حليما جوادا وقورا متعبدا متهجدا قائما على مصالح رعيته رحم الله الجميع والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته في قصص التاريخ ابهى العبر قد خاب من لم يتعظ بالخبر فيها - [00:13:18](#)

دروس نافعات بها يصبح من غاب كما لو حضر في قصص التاريخ ابهى العبر قد خاب من لم يتعظ بالخبر بها. يصبح من غاب كمال لو حضروا كم عالم قد بقيت بيننا. اقواله خالدة كالدرر كم - [00:13:47](#)

في فعله قدوة ترفع همة الذي قد فتر كمعالم قد بقيت بيننا اقواله خالدة كالدرر كم قائد في فعله قدوة ترفع همة الذي قد فتر كالقصة تفعم قلب الفتى. يملأ منها سمعه والبصر. فهكذا - [00:14:17](#)

مني قصصا ازهرت فيها العظات يا اخي والعبر. في قصص التاريخ ابهى العبر قد خاب من لم يتعظ بالخبر ادرس نافعة بها. يصبح من غاب كما - [00:14:47](#)